

الوافي في الوفيات

أبكيه ثم أقولُ معذراً له : ... وفُـقَّتَ حينَ تركتَ أُمّ دارٍ .
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربّه ... شتّانَ بين جواره وجواري .
أشكو بعادك لي وأنت بموضعٍ ... لولا الرّدى لسمعتَ فيه سراري .
ما الشرقُ نحو الغرب أبعدَ شُـقَّةً ... من بُعد تلك الخمسة الأشبار .
هيهاتَ قد علقتك أسبابُ الرّدى ... وأبادَ عمرَكَ قاصمُ الأعمار .
ولقد جريتَ كما جريتُ لغايةٍ ... فبلغتها وأبوكَ في المِضمار .
فإذا نطقتُ فأنتَ أوّلُ مَنطقي ... وإذا سكتُ فأنتَ في إضماري .
أُخفي من البُرْحاءِ ناراً مثلَ ما ... يُخفي من النارِ الزنادُ الواري .
وأُخفِّضُ الزّـفَراتِ وهي صواعدُ ... وأُكفِّفُ العِـبَراتِ وهي جـوارٍ .
وأُكفِّ نيرانَ الأسر ولربّـما ... غُـلِبَ التّصبُّرُ فارتمتْ بشـرارٍ .
وشهابَ زَندِ الحزن إن طاوعتهُ ... وارٍ وإن عاصيتهُ متوارٍ .
ثوبُ الرّئاءِ يشفُّ عمّاً تحتهُ ... فإذا التّحتَ به فإنّك عارٍ .
قصُرتْ جفوني أم تباعدَ بينها ... أم صوّـرتْ عيني بلا أشفارٍ .
جَفَتِ الكرى حتّى كأنّ غِرارَهُ ... عند اغتماضِ الطرف حدُّ غِرارٍ .
ولو استعارتْ رقدةً لدحا بها ... ما بين أجفاني من التّيسّارٍ .
أُحيي ليالي التّمـمِّ وهي تُـمِيتُنِي ... ويُـمِيتُهُنَّ تبلُّجُ الأسحار .
والصبحُ قد غمرَ النجومَ كأنّـه ... سيلٌ كما فطفا على الذّوّارٍ .
لو كنتَ تُـمنعُ خاض دونك فتيةً ... مذّا بـُحِرَ عواملٍ وشـفارٍ .
فدَحَوْا فُوقَ الأرضِ أرضاً من دمٍ ... ثمّ انثذوا فبنّوا سماءَ غُبارٍ .
قومٌ إذا لبسوا الدروعَ حسبتهَا ... سُـحُـباً مُزَرَّرةً على أقمارٍ .
وترى سيوفَ الدارعينَ كأنّـها ... خُلُجٌ تُـمَدُّ بها أكفُّ بحارٍ .
لو أشرعوا أيماهم من طولها ... طعنوا بها عِوضَ القنا الخطّارٍ .
شُوسٌ إذا عدّوا الوغى انتجعوا لها ... في كلِّ آنٍ نُـجعةُ الأمطارٍ .
جنبوا الجيادَ إلى المطيِّّ فراوحوا ... بين السروجِ هناك والأكوارٍ .
وكأنّهم ملأوا عِيابَ دروعهم ... وغمُودَ أنصُلِهِم سِرابَ قفارٍ .
وكأنّهم صَنَعُ السّوابغِ غَرَّهَ ... ماءُ الحديدِ فصاغَ ماءَ قَرارٍ .
زَرَدًا وأحكمَ كلَّ مَوْصِلٍ حلقةٍ ... بحَـبَابَةٍ في موضعِ المِسمارٍ .

فتدرّعوًا بمتون ماءٍ راكدٍ ... وتقذّعوًا بحباب ماءٍ جارٍ .
أُسْدٌ ولكن يؤثرون بزادهم° ... والأُسْدُ ليس تدين بالإيثار .
يتعطّفونَ على المُجاورِ فيهمُ ... بالمُنْذِفِسات تعطّفُ الآطار .
يتزيّنُ النادي بحُسن وجوهم° ... كتزيّنُ الهالات بالأقمار .
من كلِّ مَن جعل الطُّبى أنصارَه° ... وكَرُمَنَ فاستغنى عنِ الأنصار .
والليثُ إن ساورَ تَه° لم يَتَدَكِّل ... إلّا على الأنيابِ والأطفار .
وإذا هو اعتقل القناةَ حسبَتَها ... صِلاّ تَأبَّطَه هِزَبُ صَار .
زَرَدُ الدِّلاصِ من الطَّعانِ برمحه ... مثل الأساور في يدِ الإسوار .
ويجرُّ ثمَّ يجرُّ معدّةَ رمحه ... في الجفَلِ المتضايِقِ الجرّار .
ما بين ثوبٍ بالدماء مُضَمَّخٍ ... خَلَقٍ ونقعٍ بالطَّراد مُثَار .